يحدث أي تحرك ظاهر، مع اليقين الكامل بأن المواطنين العرب كان يأكلهم الحزن والمرارة لما يجري، ويمنعهم الخوف الذي غرسته في قلوبهم الأنظمة، طوال سنوات، عن القيام بأي عمل يمكن اعتماده شهادة على موقف محدد من هذه الحرب.

الأنظمة العربية من الشجب إلى الأدعية

منذ بداية الاجتياح الاسرائيلي للبنان، سارعت جميع الأنظمة العربية، دون استثناء، إلى شجب العدوان، وادانته، كما طالبت جميعها الولايات المتحدة للتدخل لوقف العدوان الاسرائيلي.

فقد ذكرت الخارجية المصرية «ان وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية بطرس غالي أبلغ المسؤولين الأميركيين والاسرائيليين بضرورة وقف النار في لبنان» (السفير، بيروت ١٩٨٢/٦/٦).

أما السعودية، فقد وصف بيان صادر عن الحكومة السعودية «الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان بأنها غير انسانية» (السفير، ١٩٨٢/٦/٧).

وفي ليبيا، أصدر المكتب الشعبي للاتصال الخارجي بياناً، جاء فيه «ان الجماهيرية الليبية على استعداد تام للدفاع عن لبنان والثورة الفلسطينية لمقاومة الاعتداء الصهيوني» (السفير، ١٩٨٢/٦/٨). لكن العقيد القذافي أكد في وقت لاحق «أن أسباباً جغرافية، حالت دون القيام بعمل عسكري ليبي مباشر على الجبهة الشمالية في لبنان... ولولا هذه الاسباب لكانت ليبيا اشتركت بإمكاناتها في المعركة ولم تنهها إلا بانتهاء العدوان» (السفير، ١٩٨٢/٦/١٦).

وفي ١٩٨٢/٦/٩، وجه ياسر عرفات، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، رسالة إلى القادة العرب، جاء فيها «ان هذه المؤامرة المذبحة التي تنفذها الحكومة الاسرائيلية وقواتها بموافقة من الحكومة الولايات المتحدة الأميركية، تتطلب موقفاً عربياً مسؤولاً. اني أضع القادة العرب أمام مسؤولياتهم التاريخية والقومية» (السفير، ١٩٨٢/٦/٩).

فماذا كان رد الأنظمة العربية على رسالة عرفات؟

في مصر، قالت الخارجية المصرية «أن الرئيس المصري حسني مبارك تسلم رسالة شفوية من الرئيس الأميركي رونالد ريغان أكد فيها أن الولايات المتحدة ستبذل كل جهدها لانهاء الغزو الاسرائيلي للأراضي اللبنانية» (السفير، ١٩٨٢/٦/١٠): أما في السعودية، فقد أبلغ الأمير فهد الرئيس اللبناني الياس سركيس «أننا واثقون من أن صمودكم وشجاعتكم سيؤديان إلى صد هذا الغزو... وأن السعودية لن توفر أي جهد لاحتواء الأزمة، ووضع نهاية للمأساة التي أودت بحياة الألوف من الأرواح البريئة نتيجة الغزو الصهيوني الوحشي» (السفير ١٩٨٢/٦/١٣)، وأبلغ الأمير فهد ياسر عرفات «تمسك السعودية بمواقفها المبدئية الداعمة لمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني» (المصدر نفسه).

وبعد أن أصبح الأمير فهد ملكاً للسعودية بعد وفاة الملك خالد «تضرع... إلى الله بأن يخلص الشعبين الفلسطيني واللبناني من محنتهما الناجمة عن الغزو الاسرائيلي للبنان» السفير ١٩٨٢/٦/١٩).

ولا تضيف مواقف الدول العربية التي لم نذكرها شيئاً إلى مواقف الدول التي استعرضنا، من باب التدليل، بعض تصريحات مسؤوليها. والتمايزات بين هذا الموقف أو ذاك، لا يتعدى شكل التصرف بين من اتصل مباشرة بالرئيس ريغان، وبين من أبلغه رسالة بواسطة سفيره، وبين من دعا إلى عقد قمة عربية، أو من دعا إلى اجتماع لوزراء الخارجية العرب، أو من دعا إلى الوقوف إلى جانب الشعبين اللبناني والفلسطيني. وهذه المواقف على تنوع الشكل الذي تبدت فيه، لا تغير في حقيقة الموقف الذي يمكن أن تقفه أي دولة تبعد جغرافياً عن رقعة الصراع آلاف الأميال.

هذه المواقف العربية تطرح سؤالاً تاريخياً مفاده، هل أصبح الصراع العربي ــ الاسرائيلي، صراعاً فلسطينياً ــ اسرائيلياً؟ وهل أصبح لزاماً على الفلسطينيين أن يواجهوا قدرهم بعيداً عنالعرب؟

ان وقائع الحرب، بما في ذلك تدخل سوريا المحدود، يوحي بأن مؤشرات من هذا القبيل قد بدأت تظهر في هذا الاتجاه، سواء لوحظ ذلك على الصعيد الرسمي العربي، أو على الصعيد الجماهيري الذي اتسم بالسلبية المطلقة. فهل نذهب بعيداً مرة واحدة لنقول إن على الفلسطينيين أن يعدوا انفسهم في الجولات القادمة باعتبار أنهم وحدهم في المواجهة؟

هناك واقعة تمنعنا من الذهاب بعيداً في هذا الاتجاه. فالمواطن اللبناني، إذا استثنينا القلة التي استقبلت الجيش الاسرائيلي، وقف سلام إلى جانب الفلسطينيين، بل أن بعض الساسة التقليديين في